

على طريق تأصيل الشعر الجاهلي من خلال الصورة

د . إبراهيم عبد الله الضحيان

• النبات أولاً •

تعددت الدراسات ، وتوالى البحوث ، وكثرت الاجتهادات في العصر الحديث حول الشعر الجاهلي - ما هو صحيح منه وما هو منحول - واختفلت نظرياتهم وآراؤهم ، وتباينت «جهات نظرهم حول تحقيق هذا الشعر بين الشك واليقين .

وقد اتخذت في هذا البحث المتواضع طريقاً وسطاً ، فلم أسلم بصحة الشعر الجاهلي وقبوله على إطلاقه ، ولم آخذ ببدا الشك طريقاً إلى اليقين . ولكنني ركنت إلى الواقع ، في محاولة لاستقراء الشعر الجاهلي ، بمساعدة الجزئيات المتاحة من خلال البيئة .

ثم وقع نظري على كتاب « النبات » للأصمعي . أجمل ذكرها إجمالاً ، وحصرها في واحد وثلاثمائة نوع . وكذلك كتاب أبي حنيفة الدينوري في النبات أيضاً ، لكن مسمياتها لا تختلف كثيراً عما أورده الأصمعي .

وقد ذكرتُ بعضَ النباتاتِ المعروفة في نجد اليوم - عند بعض أهل الخبرة والتجربة من كبار السن - وفي حدود معرفتي - وفارقتها بما ذكره الأصمعي . وبما أورده أبو حنيفة الدينوري مما لم يذكره الأصمعي ، وأنهت ذلك بذكر نماذج من هذه النباتات ، من واقع بعض دواوين الشعر الجاهلي ، كدليل على عراقة التسمية وأصالتها . فجاء البحث على النحو التالي :

١ - مقارنة النباتات في نجد بكتاب الأصمعي .

٢ - مقارنتها بكتاب أبي حنيفة الدينوري .

٣ - مقارنتها بأصولها القديمة من واقع بعض أشعار الجاهليين أو المخضرمين .

٤ - عرض وجهة النظر المطروحة .

وسأرحب بأية ملاحظة أو إضافة - من القاري العزيز - حول أسماء النباتات وأوصافها . وكذلك حول وجهة النظر نفسها .

١ - كتاب « النبات » للأصمعي :

أسماء النباتات في كتاب الأصمعي	أسماء النباتات عند أهل نجد	بعض خصائصها وأوصافها عند أهل نجد
الأم الأيأ الأنل الأجرد الأخریط .	الأنل الخریط	له طعم كطعم شجر الرمث جذعه أسود زرعاه الغنم والإبل ويسمى « الضمران »

ويعظمهم يسميه « العبل »	الإذخر الأذراك الأزطى الأزبه الأسر الايست الإسحار الإسجل الأسل الاسلج الآلاء الأمطى	الإذخر الأذراك الأزطى الأزبه الأسر الايست الإسحار الإسجل الأسل الاسلج الآلاء الأمطى
شجرة نهباة تحيل إلى البياض ترعاها الماشية	لعله « الشتر »	الإسماء الاشنان الأفاني الأفحوان الأيقان الليان
نبات له زهرة بتضجية وشجرته تشبه « التفأري »	الاسلج	البردى البروى البرير
لعله « ذعلوق الجميل » يؤخذ من جذعه علك	السلج	البساس
يسمى « علك المطى »		البسام البطم البغره
يستعمل في تنظيف الملابس	الشنان	بقلة الضب
معروف وشهور بزهره الأبيض الناصع البياض	القحويان	البهس
نبات غضة زهرتها بيضاء صغيرة	البهق	
نبات لا ترعاه الماشية ويضعه البدو مع الأقط	البردى	
ويسمى الأصمى « فلفل البر »	البروى	
نبات معروف بؤكل		
لعلها « الأيد » نبات يجتمع عليه مثل		
الزرع يأكله الضب		
شوك « شجرة الكرش » يخرج في الثمرة		
يشبه شوك الصمصاء	البهس	

التألب	التربة	بنة بحجم اليد يعلق التراب أوراغها داتها
التربة		
الترعة		
التغارير		ويسمى الغتب إذا كان غصناً « غرغير »
التنضب		
التلوم	التلوم	وهو من نبات الصيف وفي ثمره مادة صلب زرقاء ترعاه الطيلاء
التلن	التلن	معروف
التاليل		
التداء		لعلها « التداء » تشبه « التهام » بنبت الفقع داتها في وسطها .
الترمان		
التعارير		
التغارير		
التعام	التعام	يكثر في الجبال بمجموعة شجره رموس عبداتها كتعام السنبلة
التغر		
التام	التام	شجرة خضراء ترتفع بطول متر أو مترين ، ترعاها الماشية وبخاصة البقر .
التيل	التيل	معروف
الجنجات	الجنجات	شجر . ويجعلونه على قعر التخلّة فيحفظها من الجراد لأنه مرّ وراحتته كريهة
الجنذر		معروف
الجرجير	الجرجير	لعله « الجنباز » وكان الناس زمن الجوع يطبخونه مع الطعام ويأكلونه
جزر البر		ورقه أبيض وناعم وأعواده دقيقة لثمرته رائحة طيبة . يستخدم في حشو الوسائد
الجنند	« الجنند »	
الجليل		

جوز الجبل		
الحاج		
الحاذ	الحاذ	شجر له شوك ، وتأكله اهل تجتمح أغصانه ولا ترتفع . نوع من « التضاع » لعلها « السمر » عند أهل الفصيم و « الخضر » عند أهل القارض والحبة السوداء عند أهل الحجاز وقد يكون « الكسر » أو « الكمون » أو « الحلوة » .
الحبيل		
الحذخ		
الحرب		
الحرش	الحرش	لعله « الشرى » حيث يسمى نمر الشرى « حرجا » نبته . وتزرع مع الفث كأعلاف . كما أنها نبته برية وأوراقها خشنة .
الحرف		
الحرف	الحرف	نبات يرى له رائحة كالرشاد
الحراء	الحرا	شجر يرى
الحسار	الحسار	يكون في أطراف الرياض لا تكبر شجرته ولا تتمدد
الحسك	الحسك	مثل « النفل » وفيها شوك يحمل حبا .
الحصاد		
الحفا		
الحفرا		
الحلب	الحلب	نبات يتمدد إذا كسر عوده يخرج منه سائل أيض يستخدم البعض منهم دواء « للحرا »
الحلاب		
الحلفا	الحلفا	يكثر نباته حول المياه الراكدة
الحلمة	الحلمة	نبات يرى تأكله الابل وهو شائك زهرة بنفسجية يثبت في الصيف .

المخلاف		
المخضم		
الدائن		
الدغاع	الدغاع	نبات يرى له حب يؤكل وقت الجمع
دم الغزال		
الدوم		
الدغاليق	الدغاليق	صيفته الجمع للدغلق وهو نبتة يؤكل كالسباس والحوا والحميض . والابغرا .
الدغره		
الدنيان	ذنتاب	أو دنيان ، شجرة لها سنبله في أعلاها .
الرءاء		
الرئبل	الرئبله	نبته ناعمة نجوها الماشية . ولها سنبله فيها حب كحب البرسيم
الرهبه		
الرتم		
الرئحاس	الرئحاس	شجرة صيف تمتد أغصانها ، وورقها تجل إلى البياض
الرئغل	الرئغل	تأكله الماشية وكان الناس في زمن الجمع يمشونه ويضلونهم ثم يأكلونه
الرئمه	الرئمه	نبته تمتد على الأرض تنبت في الأرض اللينه
رسان البر		
الرئمت	الرئمت	شجر تأكله المواشي حين يخلص . وتغضى أوراقه على الفردان حيث تنزع داخلها وتنمو .
الرئرام	الرئرام	هو شجر . ويقال إن الضب إذا لدغ تمزغ على الرئرام فبشقى ويضعونه على مكان « اللدغه »
الرئف		
الرئله		
الرئند		

لعله « الطِّقَّان » نبتة قوية تشبه ورقه وشعره شجر الحبابز		الطَّبَّاق
جمع طرنوث وهو معروف شجر يشبه الأثل .	الطَّرَانِث	الطَّحْنَا
شجر كبير الحجم تضرب أغصانه فيسقط ورقها وتسمى « خبط »	الطَّرْفَا الطَّلَح	الطَّرْفَا الطَّلَح
من شجر السدر	العَبْرَى	الطَّبَّان العَبْرَى المِثْر المهر العَبْرَان
لعله « العَبْرَان » وهو شجر معروف ينبت في الشعاب .		العَبْرَان المَثْرَا العَمْر
من شجر الحمض ويصلح حطباً نبتة برية تنمذ أعواها على الأرض تشبه التيل	العَبْرَم العَبْجَلَة	العَبْرَم العَبْجَلَة العَذَار
الواحد عرجون نبات فطرى شديد البياض نبات يستعمل في النظافة كالاشنان وهو علف وشجرته تشبه شجرة العرج	العَرَاجِين العَرَاد العَرَار	العَرَاجِين العَرَاد العَرَار العَرَب العَرْمَر
شجر يرى مزهر تأكله الإبل والحمر .	العَرَج	العَرَج العَسَالِج
شجر يرى معروف نبات يرى يتداوى به	العُسْر العُسْرَى	العُسْر العُسْرَى العَضَاة

	لغصنقه	
	فصل	سرى
	سرى	
	سرى	
	سرى	
سجرتو أشواك حادة .	سرى	
وسه أوراقه أوراق البرسيم وهو « النعل » .	سرى	
نبات يرى له نمره يؤكل ويسيت في سطوح	سرى	
الجلال وفي السحاب والسمان ويسبه البعض	سرى	
« فراقس وفريقس »	سرى	
	سرى	
نعمه . « نمر » . وهي من سات الصيف تستخدم	سرى	
في صناعة الجلود والملابس .	سرى	
	سرى	
	سرى	
	سرى	
	سرى	
	سرى	
	سرى	
نبات يرى ويلدى له شوك كثير . لأنه ينمده	سرى	
على الأرض	سرى	
يتمه يربه إذا أكلتها الماشية وهي غضة بضرها	سرى	
	سرى	
نبات يرى سمح له حشيشة حين يهب الريح .	سرى	
نبات يرى ترعاه الماشية عند الضرورة	سرى	
	سرى	
	سرى	
	سرى	
نعمه . « نكحل » . « ن » حده حروفه صمغ	سرى	
معروف	سرى	
	سرى	
	سرى	

من نبات نوحى	الحصى	الكربال
عند مد قطعه من الحصى سقى جميعه		الحصى
عند قطعه من الحصى		الحصى
		الحصى
		الحصى
		الحصى
		الحصى
سحر سب في الجبال له نمر يؤكل إذا	الحصى	الحصى
سحر سب الداجان الدقيق . وهو هريب من		الحصى
نمر سقى		الحصى
نعمه . نيرة . سحر قليل له نمر يؤكل		الحصى
إذا استوى يكون بداحله ما يشبه المخاط		
يتداون به لانتعاش . الملق والمزج .		
لعله . المراوا . يتخفيف الراء وهي بنة يريه		
ننبه . الحروع . وهي غير . الميرا . من نبات البساتين		
سحر بكر في التعاب ويحط	الحصى	الحصى
		الحصى
لعله . المصنوع . نبات يرى قوى .		الحصى
من نبات الصيف . له حب أحمر كحب الريحيم	الحصى	الحصى
لعله . الملقح . نبات نجم أوراقه بالماء دائها		الحصى
ولا تقع فيه وهو من نبات الربيع .		الحصى
		الحصى
		الحصى
		الحصى
		الحصى

٢ - ومن الثبات المعروف عند أهل نجد والساقية أسماؤه حتى اليوم ولم يذكره الأصمعي ما نجده في كتب النبات لا في حبيقة الدينوري ومنه

اسم لنبته في كتاب الدينوري	اسم النبتة عند أهل نجد	بعض خصائصها وأوصالها عندهم
خضد	خضد	• نبتة • سمر •
أ. ثور	أ. ثور	شجر ورقته صغيرة مرعاه الماشية وفيه شوك ويؤخذ من عروقه مادة الدباغ ، ويؤخذ بحدوده يسمى • مرع •
حمص	حمص	شجر يشبه • التهام • له رائحة كريهة الطيب حين يكسر عوده .
أ.	أ.	شجيرة تنمذ على الأرض لا ترتفع إلى أعلى
خضد	خضد	شجر يشبه السدر والطلح يأكله الإبل .
عرج	عرج	يزرع مع الفت . وله ثمرة بحجم البلح سماق فيؤخذ منه العصفر ولونه أصفر .
حمص	حمص	شجرة بحجم شجرة العنبر .
د. الحيا	د. الحيا	شجر بأعم صغر ورقته كلها ارتفع لونه .

٣ - أسماء بعض النباتات المعروفة عند أهل نجد من خلال بعض الدواوين الجاهلية مرتبة حسب قراءتها .

الديوان	أسماء النباتات والشجر وصفحاتها
سدر بن حنظل	طوبى . الحنظل . عمد سدر . بن حنظل . طلح سدر . حرمس الحلب . فريش . ٥١ . ٦٣ . ٥٧ . ١٥٤ . ٢٠٨ . ٢٠٨ . ٢٢٧ . ٢ . ٨ . ٨ . ٢٦ .
لاسي بن سدر	طوبى . عقيد . عراة . عفار . شوحط . نعام . ٢٠ . ٦٤ . ٧٥ . ٨٤ . ١٦٧ . ١٩٠ . ١٩٠ .
أمر بن سدر	سدر . حنظل . عقيد . غصن . يمس . حنظل . حرمس . ريث . ٩ . ٢٦ . ٢٩ . ٨٠ . ٨٧ . ١٠٢ . ١٠٤ . ٢٧٥ .
رهم بن سدر	عمد سدر ٤٩ . ٤٩
أوس بن حنظل	سدر ٩٤
الديوان الثاني	
سدر بن سدر	عنبر . عرمض . عرمز . جيم . أبقان . عرمض . ٥٥ . ١٤٣ . ٨٤ . ١٥٤ . ١٦٤ . ١٧٠ .

« السفا : شوك اليهمى من ١٦٩ • قلت : والسفا كما تعرف شعاع السنبلة . وهناك نبات نسميه « سفيقان » ليس شوكا .	
« الزراعه : القصب من ١٥٥ • قلت : وهناك نبتة نسميها « أراعى » مشتقة من نبتة « الثقأزى » إلا أن عياداتها أدق وأكثر استقامة نهاء	
الرخامى . المرح . الحمض . ١٠٦ . ٤٧ . ٥٨	عبد بن الأبرص
الثقأزى . ٦٥	المتنب العبدى
عوسج . مرغ . عكرش . الوديات « شعاع النخل » . عبرى . سباس . برى . ٣٧٢ . ٨٢ . ١٣٦ . ٣٧٢ . ٢٧٣ . ٢٨٠ . ٣٧٢	الساخ بن ضرار
الفاف ٤٨	عمرو بن قميته
المطشى ٥٤	علقة الفعل
السخير ٢٦٢	حسان بن ثابت
الربل . الثمر « النصى » . ٢٢٦ . ٤٤٦	شعراء بنى تميم

فهذا عرض مقتضب ودراسة مقارنة موجزة لمسحيات بعض النجر والنبات ليس على سبيل الاستقصاء والشمول ، ولا هو عمل موجه لهذا الغرض فقط ، فذلك مهمة ينهض بها أصحاب الاختصاص ؛ لكنني - مع ذلك - وجدت في هذا التقديم بداية محبة وخطوة طيبة على طريق دراسة النجر الجاهل وتحقيقه ، ورأيت أن يقاء كثير من النباتات على مسميائها القديمة يمكن أن يكون مدخلاً لمعرفة الصورة في النجر الجاهل واستكشاف مكوناتها وخفاياها وطريقة صياغتها بقدر الإمكان .

إن مجرد يقاء هذه النباتات على مسميائها القديمة يعد مؤشراً قوياً على استمرارية المعاني والصور التي تتعلق بهذه النباتات ، والتي كان يعرض لذكرها النجر القديم . ولن أبحث عن هذه الصور في ثنايا « النجر البطني » كوسيلة لإثبات النجر القديم ، لاسيما وأنا نسمي إلى أن يكون الاتجاه لدراسة التراث النجاري شمالياً على مستوى الوطن العربي كله ، وليس إقليمياً محلياً ، وهو ما يزيد إليه بالضرورة التركيز غير الموجه على التراث النجاري .

نعم ، نحن نقرأ ونسمع مخترعات نبطية قديمة رائعة ، حقيقة بالعناية والحفظ ، وتدوينها عمل رائد وجليل وفيها مجال خصب للدراسات الموضوعية الهادفة ؛ لكننا لن نستطيع - ولو حرصنا - إقناع الأدباء العرب في مواطنهم يقول شعرا النجاري وما يذخر به من صور وسمان فطرية أصيلة - أقصد النجر البطني القديم - لذا كان علينا أن نبحث عن بديل علمي ونطقي لا يعترض أحد منهم على منهجيته ، أو الاقتناع به من حيث المبدأ ؛ ولغزاة الأدباء والباحثين أن يصلوا تراثهم النجاري بأي عصر من عصور الأدب العربي ، فسوف يجدون متسعاً للبحث وبهجلاً رحيماً للاكتشاف والإبداع والتأصيل .

فنحن هنا في نجد - مثلاً - حيناً نجد صورة من صور النجر الجاهل وهو المقياس الحقيقي للتأصيل تأخذ رسوماتها من ألحسان وروائع وأشكال وألوان وخصائص لنباتات معروفة لدينا تحمل المسميات لقديمة نفسها ، فإنا نستطيع أن نتأنس بهذه العلاقة ، ونستدل بها على عراقة هذه الصورة وأصالة الفصيحة ، وبالتالي ربحان نسبتها إلى العصر الجاهل .

وأريد هنا أن استبعد الصور المعروفة ؛ كقصص البان ، والنفا ، والأراك ، وطعم الحنظل ، وبياض الأفحوان ، وغيرها ، لتجنباً لاحتمال الوقوع في النجر النحوي لشهرة النباتات المذكورة . وكثيراً ما كان أهل نجد يشبهون قوام المرأة بفصن « أراعي » في دقة واستقامته ولدائه ، ولابد أن هناك تشبيهات أخرى في النبات قديمة وحديثة يعرفها أهل الاطلاع والخبرة .

ولا يشيرنا أن تكون هذه النباتات « النجدية » أو بعضها معروفة اليوم بأسانها المذكورة في اليمن والحجاز وشرق الجزيرة العربية والعراق والشام - كمواطن عربية قديمة - فإن الاشتراك في

النسبة قد يعتنا على استقراء الشعر الجاهل نفسه وتحديد مواطن الشعراء . وأماكن نظمهم للفصائد ونونيتها .

ومثل الثبات في الاسترشاد على معرفة الصورة وتحقيق وتوثيق الشعر الجاهل : الطبيعة بظاهرها المختلفة من جبال ، ورمال ، وأودية ، وشعاب ، ورياض ، وأماكن مختلفة أخرى وسائر الطيور ، والحيوان : من إبل وخيل وصيد . وكذلك حياة الناس وطبائعهم ، ولا تزال في الرجل والمرأة سيات وأخلاق حسنة باقية حتى اليوم . كان يذكرها الجاهليون في شعرهم كثيراً .

ومن وجهة نظر تاريخية واجتماعية . فإن قراءة فاحصة في ديوان النسيخ بين ضرار الديباني العفطاني تعطينا تصوراً تاريخياً طيباً عن قبائل « بني رشيد » . وهذا مثال .

لكن كيف يمكننا تمييز الصورة من خلال الطبيعة على ضوء ما أنشأت إليه ؟ وما العوامل المساعدة على فهم هذه الصورة إلى جانب إمكان معرفة المعالم الجغرافية والإقليم بها ؟ فهل نجعل لشعراء الهامة ومكة واليمن صورة لأن الأعلى كان يتردد على مكة وتجران ؟ ونجعل لأهل المدينة والنام صورة لأن النابغة الذبياني كان يتردد على المدينة وحسان بن ثابت كان يتردد على القساسة في الشام ؟ ونجعل لأهل نجد والعراق وشرقي الجزيرة العربية صورة : لأن طرفة والمنلس والمنقب العبدى وغيرهم وأكثر شعراء قيم وطني* وبكر ونقلب كانوا يترددون على الحيرة في العراق ؟

ولما كان الشعر الجاهل مزدهراً في نجد والعراق وشرقي الجزيرة العربية . فإن الذي أرجعه وأمبل إليه أنه كان لشعراء شمالي نجد والعراق وشرقي الجزيرة العربية صورة مغايرة لصور الشعراء في الهامة وجنوبي نجد بوجه عام ولو في بعض الجوانب .

وإذا فالتراث - الشعر الجاهل - ثرات ضخم وقد يكون حقيقياً في أكثره ينبغي علينا مراجعته مراجعة جادة ومدروسة فلا نجزم بحاله بموقف معين - سواء بالنسبة أو اليقين - ونعقدورنا الاستعانة على معرفته بجزئيات البيئة والواقع أو - على الأقل - بتجريب الاستعانة بهذه الجزئيات . وهو أدب رفيع . يمكننا أن نرقى به إلى مصاف الآداب الإنسانية الأخرى . فلا يكفي أن نعتبه بأنه أدب أو شعر غنائي ذاتي . ونوقف عند هذا الوصف لا تعداه : فقد تحدث الشعراء الجاهليون عن الوفاء . الأمانة . والصدق . والصداقة . والبؤس . والشقاء . والبخل والسخاء . والصبر والفقر . وتحدثوا عن الجبال في الإنسان . والحيوان . والطبيعة . ولم سبق قديم في مجال الرق بالحيوان وكذا الحديث عن الجباع والمساكين . والباستين . وتصوير أحيائهم وأحوالهم . ومعاناتهم .

كل هذا وذاك . مما قد يعده القارى نضالاً مبالغاً فيه : إلا أنه يجعلنا أمام ثرات ضخم . أدب جم فيه متسع للدراسة والمطعماء بروح العصر . وهو يحتاج من الباحث إلى صبر وأناة . إنعام نظر . وتقبل للعقبات والأخطاء .

وأرى أن الاستعانة على هذه الدراسة بالواقع الجغرافي ، والاجتماعي ، والتاريخي ، ضرورة علمية وموضوعية تقتضيها أصول الدراسات الأدبية الحديثة ، وذلك للوصول إلى أفضل النتائج المرجوة على طريق تأصيل التراث ونوثيقه .
وبالله التوفيق .



المصادر مرتبة حسب ورودها في البحث :

- كتاب « الثبات » لأبي سعيد عبد الملك بن قريش الأصمعي تحقيق - عبد الله يوسف الغنيم طبع لندن ١٩٥٣ .
- كتاب « الثبات » تأليف أبي حنيفة أحمد بن داود الدينوري طبع لندن ١٩٥٩ .
- ديوان بشر بن أبي حازم الأسدي تحقيق الدكتور عزت حسن نشر وزارة الثقافة بدمشق ١٩٧٢ .
- ديوان الأعشى ميسون بن كيس . دار صادر ١ بدون تاريخ .
- ديوان امرؤ القيس بن حجر الكندي تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . دار المعارف بمصر ط ٣ - ١٩٦١ .
- ديوان زهير بن أبي سلمى دار صادر ١ بدون تاريخ .
- ديوان أوس بن حجر تحقيق د . محمد يوسف نجم دار صادر ١٩٦٧ .
- ديوان لبند بن أبي ربيعة العائري . دار صادر ١٩٦٦ .
- ديوان حبيب بن الأبرص . دار صادر ١٩٦١ .
- ديوان المتنبي العبدى . تحقيق حسن كامل الصيرفي نشر معهد للخطوط العربية بالقاهرة ١٩٧١ .
- ديوان الشماخ بن سمرار الديلمي تحقيق صلاح الدين الحادي دار المعارف بمصر .
- ديوان عمرو بن قيسية . تحقيق علي إبراهيم العطية . دار الحرية . بغداد ١٩٧٢ .
- ديوان علقمة الفحل . تحقيق : لطفي الصفا والدرية الخطيب . دار الكتاب . حلب ١٩٦٩ .
- ديوان حسان بن ثابت . تحقيق د . سيد حنفي حسنين الهيئة المصرية للكتاب ١٩٧٤ .
- شعراء بني تميم في العصر الجاهلي . د . عبد الحميد المعيني نشر النادي الأدبي ببريدة ١٩٨٢ .
- شعراء التابعة الديلمي تحقيق الطاهر بن عاتق . الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر ١٩٧٩ .

